رسالة الى مكادي

اي عبد الباسط :

كناريّ الذي عاش يبحث عن مكادي ، وحملته رياح الصمت الباردة قبل ان يعثر على مكادي .

اي كناري الغافي في حضن المجهول : انت عندي في حساب تاريخ عطاء الكلمة ، تقنية بن نافع في حساب تاريخ مد الرسالة .

كلاكما حط على الاطلسي رحاله ، عقبة حاملا مصحفا ، كتاب الله ، وانت حاملا برعم كلمة ، كتاب امة . هو لولا البحر كان مد الى ابعد . وأنت لولا الشمس فتحت للكلمة ـ تاريخي وتاريخك ـ افاقا ارحب .

اي كناري الذي جرحته الشمس ، تكبو الكلمات حين تبكي كناريا له عمق صوتك ، وزهو ريشك ، ولون عينيك ، فاعذر فما لي في ذهوبك ان اقول .

خليل

يا مكادي
الكناريّ الذي غنى لعينيك باشجى
ما يغنيه كناريّ حزين
الكناري الذي جافى ليالي
آسيا البيضاء مشبوب الحنين
عله يلقاك يوما ،
في مدارات البهار الاسود النامي
على خصر المحيط الاسود الداجي العيون
حاملا غصنا حريريا ، ونجمه
وربيعا اخضر الغدق وبسمه
طار لم ينبس بكلمه
يا مكادي

*

ثم لم يرجع الينا
ثم لم يشفق علينا
وتصبيناه صبحا ومساء
نسكب البوح دموعا ورجاء
عل فجرا يا مكادي ، عل نسمه
تحمل الطير الينا ، عل غيمه
غير ان الفجر لم يسمع ندانا
وشرود الغيم لم يحضن رجانا
فبكينا من فم الصبح الى قلب المساء

يا مكادي

*

ما الذي ناءاه عنا ،
ما الذي اغراه ان ينسى هوانا ،
ما الذي اغراه ان يطعمنا الشجو ،
ويلهو بأسانا ؟!
نحن لم نجرحه يوما يا مكادي
نحن مد جاءك ودعناه بالفرحة ،
حملناه شوقا
نحن قلنا احمل الى عيني مكادي ،
يا كناري دمشقا
نحن قلنا الثم لنا الوجه المداري الحمول
قل له انا هنا نصغي الى قرع الطبول
يتعالى في دجى افريقيا العاني الذهول
يوقظ الموتى ، ويجري النسغ في عرق الفصول
نحن قلنا احمل امانينا الى عيني مكادي
يا كناري ، وعد انا هنا شوق طويل
يتصباك ، على مركبة الظن ، وميعاد بتول

*

ومضى يشدو ، يناديك اليه يا مكادي
ويشد اللحن للحن ، ويذروه على جدب الوهاد
حاديا طار من الشرق الى الغرب
ينادي الف حاد
وحسبناه سلانا ، فدعوناه ، صلبنا في اراجيح الرتابه
تتصبى المرهف الصوت : ايابه
ومن الفجر الى شط الأصيل
نحن حدقنا الى جنح سحابه
نحن صلينا ، من الليل الى الصبح بكينا
وعنونا نتقراه على أشرعة الافق الخضيل
عل ريحا تحضن الطير الجميل
غير أن الافق لم يحمل سوى حفنة ريح
ثم ان الريح لم تحمل الينا
طائر الحب ولم تعطف علينا
ثم ان الريح لم تحمل سوى مر الكآبة
وصدى ناي جريح
وتناويح ربابه
فبكينا من فم الصبح الى قلب الاصيل

يا مكادي
وتمشى اليأس في عزف الطبول
جهش انفاس تلوى ، وعويل

*

ثم ان الجزر السمراء لم تأتلف
طبول الليل تبكي ، تتفجع
لم يعودها عزيف الطبل الا ان يناديها فتفزع
جزر المسك ، ومن دغل ، لدغل ، كل غابة
وجمت تصغي لموت اللحن في ليل الرتابة
يا مكادي ورأينا من هنا افريقيا تجثو وتضرع
ثم تصحو اكبدا تدمى وانفاسا تقطع
الكناري الذي حط على قماتها السمراء أقلع
يا مكادي كل عين في مدارات البهار الرخو تدمع
كل قلب يتلوى يتوجع
ومن الليل الى الصبح بكينا
وشرقنا بأسانا يا مكادي
وصلبنا في أراجيح الحداد

*

خليل الخوري

ـ التتمة على الصفحة ٧٥ ـ

نقد القصائد

ـ التتمة من الصفحة ٨ ـ

الاثر الفني اذا ارتبط بشخصية الفنان غمض على القارىء وضعف اثره . ومن الجيد في هذه القصيدة بناؤها المتماسك ، فأجزاؤها تكاد تكون متوالدة عن بعضها ، ولا حاجة الى القول ان لغتها سليمة .

« المهزومون » : نستشرف في قصيدة الطيب الشريف أفقا فكريا واسعا ، وشاعرية خصبة مثقفة . انه يقذف عطش الروح كله منذ الجملة الاولى بجرأة وصدق ، كما انه يستطيع ان يصور الافراد التائهين ، يعطينا عذابهم وقلقهم وشوقهم :

ما ضر لو تفتق المجهول عن ملاذ
يحضننا في دفئه المجبول من قلوب الامهات
يضمنا يومين في سبات
فنحن وافدون من جزائر الارق
أحداقنا كرات فحم تدلهم في الفسق
وفي انسانها شؤبوب شوق يحترق
وينضح الدموع والعرق ...

ذلك شعر فيه صدق ومكابدة . الصور مدروسة ومنبثقة بعفوية في آن واحد مما يدل على انها تنطلق حسب منهج تعب الشاعر في تنظيمه والسير حسب خطته . وان كانت اللغة لا تسعفه ففي القصيدة غلطتان « تريد نستقر » و « يا نوم يا نسيان لو تحضنا رؤوسنا » . ولست ادري فيما اذا أصبحت مهمة الناقد تصحيح الاخطاء اللغوية أم ما زالت تدور في حدود المناقشات الجمالية والفكرية ؟

« أطفال أغادير » لست أدري لماذا تذكرني قصيدة محمد البخاري بمطلع قصيدة للسياب « من قاع قبري اصيح .. » اما بقية القصيدة فعادية .

انني احاكم القصائد على اساس ان ما يمكن كتابته نثرا لا يجوز ان يكتب شعرا . وهذا لا يعني ان هناك افكارا شعرية ونثرية انما يعني ان هناك تفكيرا شعريا . رؤيا شعرية تقدم العالم حسب موقف الشاعر من الوجود . كل قصيدة نافذة يجب ان تطل على الانسان والعالم من زاوية . وهذا يقتضي تكاملا في البناء من حيث الافكار والصور ، وتوترا خفيا ـ كما في قصيدة عبد الباسط ـ او توترا ظاهرا كما في قصيدة ـ الطيب الشريف ـ ثم لا يهم بعد ذلك أاستعمل الشاعر الاساطير او لجأ الى الصور او استخدم الفولكلور او لجأ الى التقرير . وسواء قدم الاديب احساسه شعرا حديثا او كلاسيكيا او نثريا . المهم ان ترتفع القصيدة الى مستوى الازمة ، الى مستوى الانسان . وهذه ليست دعوة للتجريد ، انما هي دعوة الى نبذ الجزئيات ، الى نبذ المحليات ، الى نبذ الحوادث الذاتية . ان الشعر اغناء للروح ، اطلاله على الابد ، تعميق للنفس وغور في اعماقها والا ما هذا الشعر الذي نقرأ ؟

استمعوا مقاطع من قصيدة احمد ابو عرقوب :

يا ليتني وجدت كنزا ناصع البريق
أحمله ملء يدي .. أهب الصغار
دمي ، ثيابا ، فرحة ازهار
يا ليتني رايت نور الله في الطريق ... الخ .

هذا المقطع انتقيته عن غير قصد . هل يرتفع عن مستوى الكلام العادي لانسان غير مثقف وغير موهوب ؟ ترى لو كتب نثرا هل يستحق صفحة من مجلة الاداب ؟ هل نذكر « الشعراء » بقول الخطيئة :

« الشعر صعب وطويل سلمه »

انني احتار في تعليل الجرأة على النشر . لقد اصبح الشعر عصارة تراث الانسانية . ونحن ما نزال نعلك كلاما بدون معنى في اغلب الاحيان ! ان الشعر طوفان يغرق القارىء ويذهله ويتحدى ثقافة الناقد ووعيه . فاين نحن من كل هذا ؟ بماذا يفترق المقطع السابق عن اغنية فريد الاطرش « يا ريتني طير لاطير حواليك » ؟ هل هي علة الشعراء ؟ ام انها علة امة لم تنفض عنها تخاذلها ؟ ان المستوى الثقافي الذي تفصح عنه اغلب هذه القصائد مستوى قريب من الجهل ، قريب من الربابة والعد والنواح . ليس هذا هو وعينا الذي نطلب . اما أن نتمرد على السبات أو أننا نخسر كل شيء .

دمشق — **محيي الدين صبحي**

رسالة الى مكادي

ـ التتمة من الصفحة ٢ ـ

الكناري الذي ابحر صبحا ، راعش الخلجة ، محموم الجبين
من روابي اسيا المستسلمات
لدجى افريقيا الكابي الحزين
حاملا قلبا عريض الامنيات
وصبا حرف ولحنا ، وصلاة
سوف لا تسمع من قيثاره العذب الرنين
ما تعودت : رهيف الاغنيات
سوف لا تسمع الا قمة سمراء
تذور خلفه مر الانين
فالكناري الذي أحرق جنحيه الهجير
والذي كنت رفيف الحلم في احداقه
ومثير الدفء في اعماقه
الكناري الذي هام يغنيك هوى اشواقه
عله يلقاك ظلا ، مرفأ يحميه من لفح السعير
طار لم ينبس بكلمه
قبل ان يلثم عينيك مكادي

★

لم يقل حتى وداعا يا مكادي
كان في الارض غريبا
ومضى عنها غريبا
فابكه مثلي مكادي
قل لغاباتك ان تبكي شبابه
لخيول الريح ان ترثي اغترابه
ان تحييه ، وتبكيه مكادي

★

فهو طير عربي من بلادي
حمل الحرف غميسا بمجادات البوادي
ومضى يغرسه في ارضك السمراء عربون وداد
كله يزهر حبا ، وسلاما يا مكادي

★

كان فوق القمة السمراء قمه
تتصبى طائر الحب الحزين
فمضى لهفان ، لم ينبس بكلمه

دمشق — **خليل الخوري**